الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والحرب على غزة

The Israeli-Palestinian conflict and the war on Gaza

الباحث القانوني عذال عبيد ضاحي

الجامعة الإسلامية في لبنان

مستخلص:

أعقب الهجوم الذي شنته حركة حماس في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ على عدد من المواقع الإسرائيلية، سقوط عدد غير مسبوق من القتلى والمصابين على الجانب الإسرائيلي، وصل وفقاً لآخر التقديرات إلى ١٤٠٠ قتيل منهم ٣٠٨ جندي و٤٦٠٠ مصاب، تلاه قصف إسرائيلي ممنهج على قطاع غزة، أدى بدوره إلى استشهاد ٤١٣٧ مواطن وإصابة أكثر من خمسة عشر ألف آخرين حتى مساء يوم ٢٠ أكتوبر، معظمهم من المدنيين، بالإضافة إلى نزوح أكثر من مليون مواطن داخل القطاع، وانقطاع كل سبل الحياة في ظل رفض سلطات الاحتلال دخول المساعدات الإنسانية منذ بدء الأزمة، حتى دخول أول مجموعة من الشاحنات المحملة بالمساعدات الإنسانية والطبية المصرية في صباح يوم السبت الموافق ٢١ أكتوبر.

الكلمات المفتاحية: فلسطين، إسرائيل، حرب، غزة، صراع

Abstract

The attack launched by the Hamas movement on October 7, 2023, on a number of Israeli sites, was followed by an unprecedented number of deaths and injuries on the Israeli side, which according to the latest estimates reached 1,400 dead, including 308 soldiers and 4,600 injured, followed by a systematic Israeli bombing of the Gaza Strip, which led to... In turn, 4,137 citizens were martyred and more than fifteen thousand others were injured as of the evening of October 20, most of them civilians, in addition to the displacement of more than a million citizens inside the Gaza Strip, and the interruption of all means of life in light of the occupation authorities' refusal to enter humanitarian aid since the beginning of the crisis, until the entry of... The first group of trucks loaded with Egyptian humanitarian and medical aid on the morning of Saturday, October 21.

Keywords: Palestine, Israel, war, Gaza, conflict.

المقدمة

أعقب الهجوم الذي شنته حركة حماس في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ على عدد من المواقع الإسرائيلية، سقوط عدد غير مسبوق من القتلى والمصابين على الجانب الإسرائيلي، وصل وفقاً لآخر التقديرات إلى ١٤٠٠ قتيل منهم ٣٠٨ جندي و٤٦٠٠ مصاب، تلاه قصف إسرائيلي ممنهج على قطاع غزة، أدى بدوره إلى استشهاد ٤١٣٧ مواطن وإصابة أكثر من خمسة عشر ألف آخرين حتى مساء يوم ٢٠ أكتوبر، معظمهم من المدنيين، بالإضافة إلى نزوح أكثر من مليون مواطن داخل القطاع، وانقطاع كل سبل الحياة في ظل رفض سلطات الاحتلال دخول المساعدات الإنسانية منذ بدء الأزمة، حتى دخول أول مجموعة من الشاحنات المحملة بالمساعدات الإنسانية والطبية المصرية في صباح يوم السبت الموافق ٢١ أكتوبر.

هذه الأزمة الضخمة والمعقدة مثلت اختباراً كبيراً للإعلام الغربي. وعلى العكس من الحرص على تقديم صورة موضوعية تعكس مختلف السرديات ومختلف أبعاد الأزمة، خاصة في ظل ما تمتلكه وسائل الإعلام الغربية من قدرات تكنولوجية متقدمة وقدرة كبيرة على الوصول إلى أطراف الأزمة، فقد اتسمت معالجات الإعلام الغربي للأزمة بدرجة كبيرة من الانحياز للجانب الإسرائيلي.

ورغم أن هذا الانحياز الإعلامي الغربي، خاصة الأمريكي، ليس جديداً، بل هو سمة معتادة ومستقرة، لكن في زمن السماوات المفتوحة، ومع تزايد دور وسائل التواصل الاجتماعي، فقد تزايد إدراك ووضوح هذا الانحياز بشكل غير مسبوق، حيث أصبح من السهل تداول نماذج ومقاطع الفيديو التي تكشف هذا الانحياز على وسائل التواصل الاجتماعي بين الملايين من العرب، مما خلق حالة من الغضب في أوساط الشعوب العربية تجاه الولايات المتحدة والدول الغربية.

من ناحية أخرى، فإن هذا الانحياز الكامل للموقف الإسرائيلي، والتماهي الكامل مع السردية الإسرائيلية، لا يعبر بدقة عن التمايزات المهمة داخل الرأي العام الغربي؛ فرغم أن القيادات السياسية ووسائل الإعلام التقليدية تطرح سردية منحازة بالكامل للموقف الإسرائيلي، إلا أن الرأي العام الغربي يشهد انقسامات مهمة حول القضية الفلسطينية، حيث أصبح قطاع مهم يضم الشباب والمهاجرين والحركات الاجتماعية التقدمية ينحاز بشكل متزايد للموقف الفلسطيني، مما يخلق تناقضات مهمة داخل المجتمعات الغربية من المهم استغلالها للدفع بسياسات أكثر توازناً وأكثر توافقاً مع المصالح العربية والفلسطينية.

أهمية الدراسة: تنامت التوترات بين الجانبين عندما أعطى المجتمع الدولي لبريطانيا مهمة تأسيس "وطن قومي" للشعب اليهودي في فلسطين، التي تمثل بالنسبة لليهود أرض أجدادهم، وكذلك الحال

أيضا بالنسبة للفلسطينيين العرب الذين يرون أنها أرضهم، فعارضوا هذه الخطوة، من هنا تبدو أهمية دراسة هذا الصراع.

المبحث الأول

تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

سيطرت بريطانيا على فلسطين بعد هزيمة الإمبراطورية العثمانية، في الحرب العالمية الأولى، وكانت تسكن هذه الأرض أقلية يهودية وغالبية عربية، وتنامت التوترات بين كلا الجانبين بعد أن أعطى المجتمع الدولي لبريطانيا مهمة تأسيس «وطن قومي» للشعب اليهودي في فلسطين، وما بين عشرينيات وأربعينيات القرن الماضي، تنامى عدد اليهود القادمين إلى فلسطين، كما تنامى أيضا العنف بين اليهود والعرب أو ضد الحكم البريطاني في المنطقة، في عام ١٩٤٧، صوتت الأمم المتحدة على قرار لتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، إحداهما يهودية والثانية عربية، على أن تصبح القدس مدينة دولية، ووافق الزعماء اليهود على هذه الخطة فيما رفضها الجانب العربي[١].

في عام ١٩٤٨، غادر البريطانيون الذين كانوا يحكمون المنطقة دون أن يتمكنوا من حل المشكلة، فأعلن الزعماء اليهود تأسيس دولة إسرائيل، واعترض العديد من الفلسطينيين على ذلك، مما أدى إلى اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، والتي انتهت عام ١٩٤٩ بانتصار إسرائيل، مع تهجير ٧٥٠ ألف فلسطيني، وبعدها تم تقسيم المنطقة إلى ٣ أجزاء: إسرائيل، والضفة الغربية (نهر الأردن)، وقطاع غزة.

خلال السنوات التالية، تصاعدت التوترات في المنطقة، خاصة بين إسرائيل ومصر والأردن وسوريا ولبنان، أبرزها أزمة السويس أو العدوان الثلاثي، وهي الحرب التي شنتها كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦، بعد أن قرر الرئيس جمال عبدالناصر تأميم قناة السويس، وهي ثاني الحروب العربية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٤٨.

في يونيو ١٩٦٧، في أعقاب سلسلة من المناورات التي قام بها الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، قامت إسرائيل بهجوم استباقي على القوات الجوية المصرية والسورية، لتبدأ حرب الأيام الستة.

وبعد الحرب، حصلت إسرائيل على سيطرة إقليمية على شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة من مصر؛ والضفة الغربية والقدس الشرقية من الأردن؛ ومرتفعات الجولان من سوريا، بعد ست سنوات، جاء يوم ٦ أكتوبر، لتبدأ حربا شنتها مصر وسوريا في هجوم مفاجئ على الجبهتين ضد إسرائيل لاستعادة

---

[١] رشيد الخالدي، حرب المئة عام على فلسطين، ترجمة عامر شيخوني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٢١، ص٣٤.

الأراضي المغتصبة، وفي عام ١٩٧٩، وفي أعقاب سلسلة من وقف إطلاق النار ومفاوضات السلام، وقع ممثلون من مصر وإسرائيل على اتفاقيات كامب ديفيد، وهي معاهدة السلام التي أنهت الصراع الذي دام ثلاثين عامًا بين مصر وإسرائيل[١].

المطلب الأول: الانتفاضة الأولى

رغم أن اتفاقية كامب ديفيد حسنت العلاقات بين إسرائيل وجيرانها، إلا أن مسألة تقرير المصير والحكم الذاتي للفلسطينيين ظلت دون حل، حيث انتفض مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة، في عام ١٩٨٧، ضد حكومة الاحتلال الإسرائيلية فيما عرف بالانتفاضة الأولى، وتوسطت اتفاقيات أوسلو الأولى في عام ١٩٩٣ في الصراع، ووضعت إطارًا للفلسطينيين ليحكموا أنفسهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما مكنت من الاعتراف المتبادل بين السلطة الفلسطينية وحكومة الاحتلال الإسرائيلية، وتوسعت اتفاقيات أوسلو الثانية على الاتفاقية الأولى، في عام ١٩٩٥، وأضافت بنودًا تقضي بالانسحاب الكامل لإسرائيل من ٦ مدن و٤٥٠ بلدة في الضفة الغربية[٢].

المطلب الثاني: الانتفاضة الثانية

أطلق الفلسطينيون الانتفاضة الثانية، في سبتمبر ٢٠٠٠ واستمرت حتى عام ٢٠٠٥، وردًا على ذلك، وافقت حكومة الاحتلال الإسرائيلية على بناء جدار عازل حول الضفة الغربية في عام ٢٠٠٢، على الرغم من معارضة محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية، في يونيو ٢٠٠٦ قامت حماس بأسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شليط، ما دفع إسرائيل لتوجيه ضربات جوية والتوغل داخل القطاع. وتم إطلاق سراح شليط في النهاية بعد أكثر من خمس سنوات في عملية لتبادل الأسرى، في ديسمبر ٢٠٠٨ شنت إسرائيل هجوما على غزة استمر ٢٢ يوما، أسفر عن مقتل ١٤٠٠ فلسطيني و١٣ إسرائيليا قبل الاتفاق على وقف إطلاق النار.

حاولت الولايات المتحدة إحياء عملية السلام بين حكومة الاحتلال الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية، عام ٢٠١٣، لكن تعطلت محادثات السلام عندما شكلت فتح – الحزب الحاكم في السلطة الفلسطينية – حكومة وحدة مع فصيلها المنافس حماس، في عام ٢٠١٤، في صيف عام ٢٠١٤، أدت الاشتباكات في الأراضي الفلسطينية إلى اندلاع مواجهة عسكرية بين الجيش الإسرائيلي وحماس، حيث أطلقت حماس ما يقرب من ثلاثة آلاف صاروخ على إسرائيل، وردت إسرائيل بهجوم

---

[١] إلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٦٥.

[٢] عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٣، ص٧٦.

كبير في غزة، في نوفمبر ٢٠١٢ اغتالت إسرائيل القائد العسكري لحماس أحمد الجعبري، ما استدعى مواجهات بين الجيش الإسرائيلي والفصائل الفلسطينية أسفرت عن مقتل ١٦٤ فلسطينيا[١].

وانتهت المناوشات في أواخر أغسطس ٢٠١٤ باتفاق وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه مصر، ولكن بعد استشهاد ٢٢٥١ فلسطينيًا، ومقتل ٧٣ إسرائيليًا، وبعد موجة من العنف بين الإسرائيليين والفلسطينيين في عام ٢٠١٥، أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس أن الفلسطينيين لن يكونوا ملزمين بعد الآن بالتقسيمات الإقليمية التي أنشأتها اتفاقيات أوسلو.

المطلب الثالث: الذكري السبعين للنكبة

في شهري مارس ومايو ٢٠١٨، نظم الفلسطينيون في قطاع غزة مظاهرات أسبوعية على الحدود بين قطاع غزة وإسرائيل، بالتزامن مع الذكرى السبعين للنكبة، وهي الهجرة الجماعية الفلسطينية التي رافقت استقلال إسرائيل، وعلى الرغم من أن معظم المتظاهرين كانوا سلميين، إلا أن قوات الاحتلال قتلت ١٨٣ متظاهرًا وأصيب أكثر من ٦٠٠٠ بالذخيرة الحية.

كذلك اندلع القتال بين حماس وجيش الاحتلال الإسرائيلي، في مايو ٢٠١٨، فيما أصبح أسوأ فترة عنف منذ عام ٢٠١٤، وقبل التوصل إلى وقف إطلاق النار، أطلق المسلحون في غزة أكثر من مائة صاروخ على إسرائيل؛ وردت إسرائيل بشن ضربات على أكثر من خمسين هدفا في غزة خلال التصعيد الذي استمر أربعا وعشرين ساعة[٢].

المبحث الثاني

خطة الولايات المتحدة لترسيخ دولة إسرائيل

وضعت إدارة دونالد جيه ترامب تحقيق صفقة إسرائيلية فلسطينية كأولوية في السياسة الخارجية، في عام ٢٠١٨، ألغت إدارة ترامب تمويل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، التي تقدم المساعدة للاجئين الفلسطينيين، ونقلت السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وهو ما شكل تحولا عن سياسة أمريكية طويلة الأمد.

وقوبل قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس بالتصفيق من القيادة الإسرائيلية، لكن أدانه القادة الفلسطينيون وآخرون في الشرق الأوسط وأوروبا، وتعتبر إسرائيل «القدس الكاملة والموحدة» عاصمتها الآن، وفي يناير ٢٠٢٠، أصدرت إدارة ترام المرجع السابق، ص١٥٤.ب خطتها التي

---

[١] إيلان بابيه، فكرة إسرائيل(تاريخ السلطة والمعرفة)، ترجمة محمد زيدان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥، ص١٥٤.

[٢] رشيد الخالدي، حرب المئة عام على فلسطين، المرجع السابق، ص١٩٨.

طال انتظارها «السلام من أجل الازدهار»، والتي رفضها الفلسطينيون بسبب دعمها لضم إسرائيل المستقبلي للمستوطنات في الضفة الغربية والسيطرة على القدس «غير المقسمة»[١].

المطلب الأول: قضية حي الشيخ جراح ٢٠٢١

قضت محكمة إسرائيلية، في أكتوبر ٢٠٢٠، بتهجير العديد من العائلات الفلسطينية التي تعيش في حي الشيخ جراح بالقدس الشرقية بحلول مايو ٢٠٢١، مع تسليم أراضيها إلى عائلات يهودية، ولكن قدمت عدة عائلات فلسطينية من الشيخ جراح استئنافًا على حكم المحكمة، في فبراير ٢٠٢١، مما أثار احتجاجات حول جلسات الاستئناف، والمعركة القانونية المستمرة حول ملكية العقارات، والتهجير القسري للفلسطينيين من منازلهم في القدس.

بدأ الفلسطينيون يتظاهرون في شوارع القدس احتجاجًا على عمليات الإخلاء الوشيكة، وفي أواخر أبريل ٢٠٢١، بدأ سكان الشيخ جراح- إلى جانب نشطاء آخرين- في الاعتصامات ليلية، وبعد أن حكمت المحكمة لصالح عمليات الإخلاء، اتسعت الاحتجاجات، في أوائل مايو، واستخدمت الشرطة الإسرائيلية القوة ضد المتظاهرين، بعد أسابيع من المظاهرات اليومية وتصاعد التوترات بين المتظاهرين والمستوطنين الإسرائيليين والشرطة خلال شهر رمضان، اندلعت أعمال عنف في مجمع المسجد الأقصى في القدس، حيث استخدمت الشرطة الإسرائيلية قنابل الصوت والرصاص المطاطي، وخراطيم المياه خلال مواجهات مع المتظاهرين أدت إلى إصابة ووفاة مئات الفلسطينيين[٢].

وبعد الاشتباكات التي وقعت في البلدة القديمة بالقدس، زادت التوترات في جميع أنحاء القدس الشرقية، وتفاقمت بسبب الاحتفال بيوم القدس، وفي ١٠ مايو، بعد عدة أيام متتالية من العنف في جميع أنحاء القدس واستخدام الشرطة الإسرائيلية للقوة المميتة وغير المميتة، أطلقت حماس، وغيرها من الجماعات الفلسطينية، مئات الصواريخ على الأراضي الإسرائيلية.

وردت إسرائيل بقصف مدفعي وغارات جوية، أسفر العديد منها عن مقتل أكثر من عشرين فلسطينيا، بينما تدعي استهداف حماس والمسلحين الآخرين والبنية التحتية الخاصة بهم- بما في ذلك الأنفاق وقاذفات الصواريخ- وسعت إسرائيل حملتها الجوية وقصفت البنية التحتية غير العسكرية بما في ذلك المباني السكنية ومقار وسائل الإعلام ومرافق اللاجئين والرعاية الصحية .

---

[١] عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، المرجع السابق، ص١٧٧.

[٢] توماس سواريز، دولة الإرهاب(كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب)، ترجمة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دار المعرفة، الكويت، ٢٠١٨، ص١٦٥.

في ٢١ مايو ٢٠٢١، اتفقت إسرائيل وحماس على وقف إطلاق النار بوساطة مصرية، حيث أعلن الجانبان النصر ولم يتم الإبلاغ عن أي انتهاكات، بعد أن استشهد أكثر من ٢٥٠ فلسطينيًا وجُرح ما يقرب من ألفين آخرين، كما قُتل ١٣ إسرائيليًا خلال الأحد عشر يومًا من القتال، وقدرت السلطات في غزة حجم الأضرار التي لحقت بعشرات الملايين من الدولارات، فيما قدرت الأمم المتحدة أن أكثر من ٧٢ ألف فلسطيني شردوا بسبب القتال[١].

المطلب الثاني: التطورات الأخيرة

تم تشكيل الحكومة الأكثر يمينية ودينية في تاريخ إسرائيل في أواخر ديسمبر ٢٠٢٢، ويقود الحكومة الائتلافية بنيامين نتنياهو وحزبه الليكود وتضم حزبين أرثوذكسيين متطرفين وثلاثة أحزاب يمينية متطرفة، بما في ذلك حزب المتدينين، والحزب الصهيوني، وهو فصيل قومي متطرف تابع لحركة الاستيطان في الضفة الغربية، ومن أجل الوصول إلى الأغلبية الحاكمة، قدم نتنياهو مجموعة متنوعة من التنازلات لشركائه اليمينيين المتطرفين، وانتقد المعارضون إعطاء الحكومة الأولوية المعلنة لتوسيع وتطوير المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى تآكل احتمالات حل الدولتين بشكل كبير[٢].

وقام نتنياهو بتعيين إيتامار بن جفير رئيسا لحزب القوة اليهودية، والذي أدين بالتحريض العنصري ضد العرب، كوزير للأمن القومي، وبتسلئيل سموتريش، رئيس الفصيل الصهيوني الديني، في منصب وزاري يشرف على سياسة الاستيطان في الضفة الغربية، وشهد عام ٢٠٢٢ أكبر عدد من الوفيات المرتبطة بالصراع لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين منذ عام ٢٠١٥، واستمر العنف في التصاعد في عام ٢٠٢٣، حيث تتجه الضفة الغربية نحو العام الأكثر دموية منذ عام ٢٠٠٥ وسط التوغلات والانتهاكات الإسرائيلية اليومية تقريبًا.

اشتبك الفلسطينيون والمستوطنون الإسرائيليون في عدة مناسبات، وتفاقمت التوترات بعد أن وافقت إسرائيل على خمسة آلاف منزل جديد للمستوطنين في يونيو ٢٠٢٣، كما صعّد الجيش الإسرائيلي عملياته، بما في ذلك مداهمة المسجد الأقصى مرتين في يوم واحد، مما أدى إلى إصابة ثلاثين شخصًا، بالإضافة إلى إطلاق صواريخ من طائرة مروحية في مخيم جنين للاجئين.

في مايو، اشتبكت إسرائيل مع مسلحين في غزة لمدة خمسة أيام، حيث أطلقت حماس والقوات الإسرائيلية ما يقرب من ألفي صاروخ، وبعد ذلك، في يوليو، نشرت إسرائيل ما يقرب من ألفي

---

[١] إيلان بابيه، فكرة إسرائيل(تاريخ السلطة والمعرفة)، المرجع السابق، ص٢٤٣.

[٢] هبة سلامة غمري، من بلفور إلى الطوفان.. تسلسل زمني لـ«الصراع الفلسطيني الإسرائيلي»، بحث منشور على الموقع الإلكتروني التالي للإطلاع :
https://www.almasryalyoum.com/news/details/3000817 تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/٣/٢١.

جندي وشنت هجمات بطائرات بدون طيار في غارة واسعة النطاق على مخيم جنين للاجئين، مما أسفر عن استشهاد ١٢ فلسطينيًا وإصابة خمسين، فيما فقدت اسرائيل جنديًا واحدًا.

المطلب الثاني: طوفان الأقصي ٢٠٢٣

مع ذكرى مرور نصف قرن على حرب أكتوبر ١٩٧٣، بدأت حماس عملية طوفان الأقصى المفاجئة التي لم يتوقّعها الجيش الإسرائيليّ. لترد إسرائيل بقصف قطاع غزة، اليوم الأحد، بعد يوم من تعرضها لهجوم وُصف بالأكثر دموية منذ عقود على إثر تسلل مقاتلين من حركة حماس إلى مدن إسرائيلية، مما أسفر عن مقتل وإصابة المئات وأسر عدد غير معروف من الجنود الإسرائيليين، وتنفذ القوات الإسرائيلية مطاردات لتعقب مئات المقاتلين الفلسطينيين الذين تسللوا إلى أراضيها وتواصل قصف قطاع غزة[١].

في ٧ تشرين الأول/أكتوبر، هاجمت حماس "فرقة غزة" التابعة لـ "الجيش" الإسرائيلي (الفرقة الإقليمية ١٤٣، شوعالي هايش) والمستوطنين في القرى المجاورة، تبعت ذلك موجة جديدة من العنف. أضر هجوم حماس بسمعة "الجيش" الإسرائيلي كقوة لا تقهر، وأدى إلى ظهور دعوات لتدميرها، بغض النظر عن العواقب المحتملة على المدنيين الفلسطينيين. وخلال الأيام الثمانية الماضية، قُتل أكثر من ٢٢٠٠ فلسطيني وجُرح ٦٠٠٠، بينما في الجانب الإسرائيلي قُتل أكثر من ١٤٠٠ شخص وجُرح أكثر من ٣٠٠٠، بحسب وسائل إعلام إسرائيلية.

تشير الصور المروعة للضحايا (التي ما تزال تعرض) إلى واحدة من أكثر الاشتباكات دموية في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة. لكن هذه الصور لا تكشف عن آليات الصراع بل تخفيه، وتثير الرعب والغضب، لكنها لا تحفّز التقييم العقلاني. وفي الوقت نفسه، فإن غياب الأسباب والدوافع العقلانية هو بالضبط ما يميز هذا الصراع، ما يجعل أي مراقب متنبه في حيرة من أمره. ومن المهم فهم السياق المحلي والإقليمي لهذا الصراع والنظر في آثاره الأخلاقية والقانونية.

الفرع الأول: خلفية الصراع

في ما يتعلق بالصراع مع الفلسطينيين، تحدد "إسرائيل" سياستها بشكل صارم من خلال نموذج إدارة النزاع المستخدم منذ احتلال الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة (١٩٦٧). فيما تعكس اتفاقيات أوسلو وانسحاب القوات من قطاع غزة عام ٢٠٠٥ (فك الارتباط الأحادي الجانب) هذه السياسة جزئياً. تمت الموافقة على اتفاق "أوسلو"، المعروف أيضاً باسم إعلان المبادئ، في اجتماع لحكومة

[١] سامح عودة، طوفان الأقصى ولعنة العقد الثامن.. هل أصبح الزوال مصيرا حتميا لإسرائيل، بحث منشور على الموقع الإلكتروني التالي للإطلاع: https://www.aljazeera.net/midan/intellect تاريخ الزيارة، ٢٠٢٤/٣/٢٢.

رابين في ٣٠ آب/أغسطس ١٩٩٣. وتم التوقيع عليه مع منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن في ١٣ أيلول/سبتمبر من العام نفسه. ويشير محضر أحد الاجتماعات إلى أن الحكومة الإسرائيلية كانت مهتمة في المقام الأول بالقضايا الأمنية وليس بالتطلعات السياسية للفلسطينيين بشأن دولة مستقلة. وكانت الحكومة فخورة بنجاحها في الحفاظ على المستوطنات والسيطرة على الأراضي المحتلة، ووقعت مسؤولية تنفيذ هذا الاتفاق على عاتق الجيش. وقد نوقش خلال الاجتماعات موضوع "الإرهاب" الفلسطيني، على أمل أن يتخلى عنه الفلسطينيون[١].

ويعتقد الصحافي الإسرائيلي إيغال ليفي أن اتفاقيات أوسلو تم تطويرها من قبل الجيش لضمان السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد خلقت هذه السيطرة مشاكل لعمل السلطة الفلسطينية كدولة، خاصة في مواجهة التوسع الاستيطاني والقيود المفروضة على حرية حركة الفلسطينيين. وبحسب الوزير موشيه شاحال (عضو حكومة رابين)، يعتقد المسؤولون الأمنيون أن كل شيء يجب أن يبقى على حاله من دون تغيير.

أما بالنسبة لقرار سحب القوات من غزة عام ٢٠٠٥، فقد اتخذته "إسرائيل" على خلفية الهجمات المتزايدة على الجنود الإسرائيليين. كان من الصعب السيطرة على قطاع غزة، وكان يُنظر إلى انسحاب القوات على أنه وسيلة بديلة لإدارة القطاع من دون وجود مباشر للجيش الإسرائيلي فيه[٢].

الفرع الثاني: السياسة الإسرائيلية تجاه قطاع غزة في عهد نتنياهو

في حقبة حكومات بنيامين نتنياهو المتعاقبة، التي استمرت ١٦ عاماً، أصبحت حماس الأداة الرئيسة في إدارة الصراع. وفي اجتماع لحزب الليكود في آذار/مارس ٢٠١٩، قال نتنياهو إن دعم حماس وتعزيزها ضروري لمنع إنشاء دولة فلسطينية. كما ذكر أن فصل الفلسطينيين في غزة عن الفلسطينيين في الضفة الغربية هو جزء من الاستراتيجية. وتشير هذه السياسة إلى أن الإسرائيليين يعترفون فعلياً بحماس باعتبارها القوة السيادية في غزة. ومن المهم الإشارة إلى أن حماس ليست مجرد منظمة عسكرية، بل هي أيضاً حركة سياسية واجتماعية. وبناء على ذلك تتولى مهام الحكومة. وتستخدم "إسرائيل" الصراع مع حماس كوسيلة للحفاظ على سيطرتها على الضفة الغربية. وقد ردد القادة الإسرائيليون كثيراً أن الانسحاب من الضفة الغربية سيؤدي إلى هجمات صاروخية على تل أبيب ووسط "إسرائيل"، على غرار ما حدث بعد الانسحاب من غزة في عام ٢٠٠٥.

في المقابل، تستخدم حماس السياسات الإسرائيلية لتعزيز موقعها في المقاومة الفلسطينية. خلال دورات العنف السابقة ضد غزة (في الأعوام ٢٠٠٨-٢٠٠٩، و٢٠١٢، و٢٠١٤، و٢٠١٨)،

---

[١] رشيد الخالدي، حرب المئة عام على فلسطين، ترجمة عامر شيخوني، المرجع السابق، ص٢٣١.
[٢] إيلان بابيه، فكرة إسرائيل(تاريخ السلطة والمعرفة)، المرجع السابق، ص٢٢٢.

أظهرت حماس قدرتها على زيادة مدى إطلاق الصواريخ وتعبئة جبهات أخرى، بما في ذلك في الضفة الغربية والداخل الإسرائيلي. وقد تجلى ذلك بشكل خاص خلال الصراع في أيار/مايو ٢٠٢١.

الفرع الثالث: أسباب "طوفان الأقصى" وما تبعه

أما عملية "طوفان الأقصى" التي نفذتها حماس في ٧ تشرين الأول/أكتوبر، فلا بد من النظر إليها في سياق عدد من العوامل. على المستوى المحلي، لعبت السياسات القمعية التي تنتهجها "إسرائيل" تجاه الأسرى الفلسطينيين دوراً كبيراً في ذلك. ونتحدث بشكل خاص عن إلغاء التسوية بين السجناء وإدارة السجن، والتي جاءت نتيجة نضال طويل من قبل الأسرى وكان أحد أشكاله الإضراب عن الطعام. خلال الأشهر الماضية، زادت إدارة السجون من ضغوطها على السجناء (يزيد إجمالي عدد الأسرى الفلسطينيين على ٥٠٠٠ شخص)، حيث منعتهم من المشي، وزيارة الأقارب، وحرمتهم من الحق في استخدام التلفزيون والاستحمام ومن الكهرباء وغيرها.

وبالإضافة إلى ذلك، تزايدت وتيرة بناء المستوطنات في الضفة الغربية. في آذار/مارس ٢٠٢٣، تم إلغاء قانون فك الارتباط العائد لعام ٢٠٠٥ (انسحاب إسرائيل من غزة وشمال الضفة الغربية في عام ٢٠٠٥). ومن المحتمل أن يكون الهدف من هذا الإجراء هو إعادة احتلال الجزء الشمالي من الضفة الغربية، كما يتضح من عودة المستوطنين إلى حومش. وبحسب المتحدث باسم حزب "القوة اليهودية"، تسبيكا فوجل، فإن المهمة التالية هي العودة إلى "غوش قطيف" في غزة. والعامل الآخر هو زيادة هجمات المستوطنين على الفلسطينيين (سياسة هجمات تدفيع الثمن) التي أسفرت عن مقتل ٢٠٠ فلسطيني في العام الحالي (قبل أحداث ٧ تشرين الأول/أكتوبر)، كما قُتل ٣٠ إسرائيلياً نتيجة الهجمات الفلسطينية[١].

على المستوى الإقليمي، تحظى عملية تطبيع العلاقات بين "إسرائيل" والمملكة العربية السعودية بأهمية كبيرة. ومن المخطط أن يتم التطبيع من خلال انضمام السعودية إلى الاتفاقيات الإبراهيمية. وهذا أمر مهم ليس فقط من حيث الانعكاسات الاقتصادية والاستثمارية، بل أيضاً من الناحية الرمزية، حيث تعتبر السعودية رائدة العالم العربي والسني. ومن المهم الإشارة إلى أن هذا التطبيع أصبح شرطاً لتنفيذ مشروع كبير لبناء ممر نقل سيربط الهند بأوروبا عبر السعودية و"إسرائيل"، وهو مشروع ينافس المشروع الصيني "حزام واحد وطريق واحد" (الاسم الرسمي للمشروع هو الممر الاقتصادي "الهند – الشرق الأوسط – أوروبا"، ٢٠٢٣).

[١] هبة سلامة غمري، من بلفور إلى الطوفان.. تسلسل زمني لـ«الصراع الفلسطيني الإسرائيلي»، المرجع السابق.

إن توسيع الاتفاقيات الإبراهيمية لتشمل السعودية أمر لا يتوافق مع رغبات الفلسطينيين. خلال المفاوضات بين العرب والأميركيين والإسرائيليين، اقترحت "إسرائيل" تغييرات على المبادرة العربية ٢٠٠٠، التي صاغها السعوديون ذات يوم. والتغييرات في الواقع تلغي الأحكام الرئيسة للمبادرة. وقد اقترح الأميركيون والإسرائيليون على وجه الخصوص إنشاء اتحاد كونفدرالي بين الأردن والضفة الغربية، مع الحفاظ على المستوطنات اليهودية تحت السيادة الإسرائيلية.

بالإضافة إلى ذلك، اقترحوا إنشاء كونفدرالية بين قطاع غزة ومصر، مع حل القوات المسلحة للمنظمات الفلسطينية. وستكون مصر والأردن مسؤولتين عن الأمن، وستبقى القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية. وتعكس هذه التغييرات فعلياً التقدم الذي تم إحرازه منذ حرب عام ١٩٦٧ وتحول المسؤولية عن غزة والضفة الغربية إلى الدول العربية، ما يسمح لـ "إسرائيل" بالاحتفاظ بمستوطناتها والقدس. إن تبني هذا الاقتراح يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للفلسطينيين، لأننا في الواقع نتحدث عن نزع الطابع الفلسطيني عن الصراع.

تجدر الإشارة إلى أن فلسطين حققت خلال السنوات القليلة الماضية بعض التقدم في الدفاع عن مكانتها على المستوى العالمي، أي على مستوى المنظمات والمحاكم الدولية. في البداية تم تعديل مسار الجهود السياسية والقانونية الفلسطينية بشكل كبير عبر اللجوء إلى قانون المسؤولية الدولية. والرسالة الرئيسة هنا هي أنه بدلاً من توثيق الانتهاكات التي ترتكبها "إسرائيل" في الأراضي المحتلة ومحاولة التوصل إلى حل تفاوضي، يجب تحديد "إسرائيل" بوضوح على أنها المعتدي الذي ينتهك حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير. وينبغي أن يستلزم ذلك تطبيق العقوبات والإجراءات المضادة عليه من قبل جميع الدول (حالياً لا تطبق الدول الغربية مثل هذه العقوبات).

الإنجاز المهم الآخر هو إضفاء الطابع القضائي على الصراع، أي تحويله إلى المحاكم الدولية. في عام ٢٠١٨، استأنفت فلسطين أمام محكمة العدل الدولية، دعوى اتهام الولايات المتحدة بأن نقل سفارتها إلى القدس ينتهك اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١. وتناولت المحكمة الجنائية الدولية الوضع في فلسطين وأصدرت في عام ٢٠٢١ قراراً يؤكد اختصاصها. ومطلع عام ٢٠٢٣، قبلت محكمة العدل الدولية طلباً من الجمعية العامة بشأن التبعات القانونية لممارسات "إسرائيل" غير القانونية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

إن عملية حماس تقضي على احتمال التوصل إلى حل تفاوضي للصراع، وكذلك على محاولات تحقيق حق الفلسطينيين في تقرير المصير في الهيئات السياسية التابعة للأمم المتحدة أو في المحاكم الدولية، التي لن تتمكن بالطبع من تجنب الضغط السياسية. أما بالنسبة للعقوبات والإجراءات المضادة، فلا يمكن الحديث عنها من الآن فصاعداً.

يقوض الوضع المستجد في غزة الأجندة الفلسطينية، ويضع إطاراً سياسياً يخدم المصالح الأميركية والإسرائيلية. وحتى الآن، ونتيجة للقصف المكثف الذي تشنه القوات الإسرائيلية، أصبح ما يقرب من نصف مليون شخص من سكان المنطقة الشمالية لقطاع غزة نازحين داخلياً. إن خطاب "إسرائيل" المتمثل في تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم واعتبارهم شراً مطلقا يصبح أساساً مبرراً لارتكاب الإبادة الجماعية ضد شعب غزة.

تجدر الإشارة إلى أن هذا الخطاب ليس جديداً، ويستخدم في العقيدة الإسرائيلية لمقارنة "إسرائيل" كدولة ديمقراطية وقانونية مع "المنظمات الإرهابية الفلسطينية". كل هذا يعيد إلى الأذهان تصريح وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق أبا إيبان حول القانون الدولي الذي لا يطبقه "الأشرار" ويتجاهله "الأخيار".

المشكلة الأساسية هنا هي أن المقترحات الخاصة بحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي (وبشكل أكثر عموماً، الخطاب السياسي والقانوني الذي يحدد المواقف تجاه هذا الصراع) تصاغ حصرياً من قبل الولايات المتحدة و"إسرائيل". ويجب على المجتمع الدولي والأمم المتحدة، التي تمثل مصالحه، أن تتحمل مسؤولية أكبر تجاه الشعب الفلسطيني في هذا الصدد[١].

الفرع الرابع: الدور الغربي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

أولاً: سمات الخطاب الإعلامي الغربي تجاه الأزمة الراهنة:

من الملاحظ أن تناول الإعلام الغربي للأحداث الأخيرة يقوم على عدد من السرديات أو الثيمات التي تروج لها إسرائيل، ويتم تناولها بشكل متكرر في الإعلام الغربي، في محاولة لتشكيل خطاب ذي سمات محددة حول الصراع الحالي في الأراضي المحتلة. ونرصد هنا تسع "ثيمات" تضمنها الخطاب الإعلامي الغربي منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى تاريخ كتابة هذا التحليل:

١- هجوم ٧ أكتوبر إرهابي: حرصت وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية على وصف هجوم حماس على عدة مواقع إسرائيلية بأنه "هجوم إرهابي" من قبل "مليشيا" أو "جماعة مسلحة" ضد مدنيين عُزل. كذلك كان هناك حرص على عدم الإشارة إلى مسألة الاحتلال الإسرائيلي أو الحق في المقاومة الشرعية للاحتلال، بل انصب مجمل تركيز الإعلام الغربي على تصوير هجوم حماس على أنه "هجوم إرهابي" ضد أطراف مدنية.

٢- هجوم حماس غير مبرر: ردد الإعلام الغربي، خاصة الأمريكي، سردية أن حماس هي التي بدأت بـ"العدوان" وأن هجوم حماس هجوم غير مبرر، دون أي إشارة إلى مسئولية السياسات

[١] دينا شحاتة، كيف نظر الإعلام والرأي العام الغربي لحرب غزة ٢٠٢٣، منشور على الموقع الإلكتروني التالي للإطلاع https://acpss.ahram.org.eg/News/21033.aspx تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/٣/٢٥.

الإسرائيلية عما وصلت إليه الأمور وصولاً إلى هذا الهجوم، وأنها بالتالي (أي إسرائيل) لها كامل الحق في الرد على هذا الهجوم كيفما تشاء. كما أكد الإعلام الغربي على أنه من غير الأخلاقي الربط بين هذا "الهجوم الإرهابي" وبين الواقع الذي عاشه ويعيشه الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ استناداً إلى قيام حماس بالهجوم على أهداف مدنية.

٣- هجوم ١١ سبتمبر جديد: شبهت وسائل الإعلام الغربية هجوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية ولقبته بـ"هجوم ١١ سبتمبر الإسرائيلي"، مع التأكيد على التشابه بين الحدثين من حيث قيام "جماعة إرهابية" باستهداف مواطنين عزل، ونجاحها في قتل عدد كبير منهم تدفعهم أيديولوجية دينية متطرفة. ويهدف هذا التشبيه إلى خلق حالة من التعاطف والتماهي بين المواطن الأمريكي والمواطن الإسرائيلي، وخلق انطباع بأن الطرفين يواجهان نفس العدو ونفس المخاطر؛ حيث يصبح الاستنتاج المنطقي -وفق هذه السردية الغربية- وجوب التضامن مع إسرائيل.

٤- معركة واحدة في إسرائيل وأوكرانيا: يقوم الإعلام الغربي بالربط بين الحرب الراهنة في الأراضي المحتلة وبين الحرب في أوكرانيا؛ حيث يتم تصوير العدوان الإسرائيلي على غزة على أنه جزء من الصراع بين "قوى الخير" المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الديمقراطية، و"قوى الشر" المتمثلة في روسيا والصين وإيران وحزب الله وحماس، ولذلك يصبح -حسب هذه السردية الغربية- دعم إسرائيل وأوكرانيا في حروبهم الراهنة جزءاً من معركة الغرب ضد القوى المعادية والممانعة له حول العالم.

٥- حرب بين حماس وإسرائيل: هناك حرص على تصوير الأحداث الراهنة على أنها حرب بين حماس وإسرائيل وليست حرباً بين إسرائيل والشعب الفلسطيني المحتل، بل هناك حرص على تصوير هذا الصراع على أنه صراع بين "دولة ديمقراطية" ذات سيادة من ناحية، و"جماعة إرهابية" من ناحية أخرى، مثلها مثل حرب الولايات المتحدة الأمريكية على تنظيم "القاعدة". أما القضية الفلسطينية أو مسألة الاحتلال الإسرائيلي فهناك محاولات لوضعها بمعزل عن الأحداث الحالية.

٦- حماس جماعة إسلامية متطرفة: قام الإعلام الغربي بتصوير حركة حماس على أنها امتداد لجماعات إسلامية متطرفة مثل "القاعدة" و"داعش"، تدفعها أيديولوجية دينية متشددة معادية للغرب وللسامية، وتتبنى رؤية دينية راديكالية تتجاوز الواقع الفلسطيني وخصوصيته، وذلك في محاولة للفصل بين حماس من ناحية وبين أهداف مقاومة الاستعمار والتحرر الوطني من ناحية أخرى.

٧- حماس لا تمثل الفلسطينيين أو القضية الفلسطينية: هناك حرص على التأكيد على أن حماس "جماعة إرهابية" لا تمثل المواطن الفلسطيني، وأنها قامت باختطاف غزة وبفرض إرادتها على سكان القطاع، وأن الهجوم الذي قامت به لا يمثل جزءاً من المقاومة الشرعية للاحتلال. وهناك حرص أيضاً على إبراز الخلافات بين حماس والسلطة الفلسطينية، والتمييز بين سكان الضفة وسكان غزة، في محاولة لخلق انطباع بأن حماس لا تعبر عن تطلعات الشعب الفلسطيني وليست ممثلاً شرعياً له.

٨- غزة ليست محتلة وحماس كان لديها خيارات أخرى: هناك سردية يتم التأكيد عليها في الإعلام الغربي بأن إسرائيل قامت بالانسحاب من غزة عام ٢٠٠٥، وبالتالي فإن قطاع غزة لم يعد محتلاً من جانب إسرائيل؛ لذا فإن هدف مقاومة الاحتلال- وفقاً لذلك- لا ينطبق على حالة غزة. كما يتم التأكيد على أن حماس قد حصلت على منح ومعونات من دول عربية وغربية وكان بإمكانها أن تستخدم هذه المعونات في تطوير قطاع غزة وتحويله إلى منطقة سياحية أو صناعية مثل سنغافورة، ولكن حماس اختارت أن تستخدم الموارد التي اتيحت لها لشراء وتطوير الأسلحة بهدف الهجوم على إسرائيل.

٩- مصر عرقلت فتح معبر رفح: صور الإعلام الغربي مصر كطرف معرقل لعملية إغاثة سكان غزة من خلال رفضها فتح معبر رفح لاستقبال اللاجئين والنازحين. وتناولت العديد من التغطيات الإعلامية مسألة دخول اللاجئين والنازحين من غزة إلى مصر كحل منطقي للأزمة الحالية. واستنكرت هذه التغطيات رفض مصر قبول هذا الخيار وفتح المعبر، وذلك في محاولة لنقل المسئولية عن المأساة الإنسانية التي يمر بها سكان القطاع من الطرف الإسرائيلي إلى الطرف المصري.

وهكذا، فإن التغطيات الإعلامية الغربية حملت العديد من المغالطات، خاصة فيما يتعلق بالموقف المصري؛ فقد تجاهلت هذه التغطيات حقيقة أن معبر رفح ظل مفتوحاً منذ اليوم الأول للأزمة دون إغلاق، وأن جيش الاحتلال الإسرائيلي هو الذي قام بضرب المدخل من ناحية غزة أربع مرات. وتجاهلت هذه التغطيات أيضاً المخاوف المصرية المشروعة من تصفية القضية الفلسطينية في حالة القبول بالتهجير القسري للفلسطينيين من غزة، والذي يمكن أن يمثل سابقة يمكن تكرارها في حالة سكان الضفة الغربية من خلال فرض تهجير قسري إلى داخل الأردن بعد افتعال أزمة جديدة بالضفة. كذلك، تجاهلت هذه التغطيات التعقيدات الأمنية التي يمكن أن يسببها هذا التهجير القسري بالنسبة للعلاقات المصرية- الإسرائيلية، وبالنسبة لمعاهدة السلام الموقعة بين الجانبين.

ثانياً: توجهات وتحولات الرأي العام... صورة أكثر تعقيداً:

رغم أن القيادات السياسية ووسائل الإعلام الغربية أظهرت انحيازاً شبه كامل للطرف الإسرائيلي خلال الأحداث الأخيرة، وقامت بتبرير كل الانتهاكات التي قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضد قطاع غزة وسكانه، وقامت بتصوير هجوم حماس على أنه "هجوم إرهابي" تدفعه أيديولوجية متطرفة، وامتنعت عن إدانة إسرائيل، كما امتنعت عن مطالبتها بالالتزام بالمواثيق والأعراف الدولية، وعزفت عن المطالبة بوقف إطلاق النار، إلا أن توجهات الرأي العام الغربي تتسم بدرجة أكبر من التعقيد.

فمع أن هجوم السابع من أكتوبر أدى إلى حدوث موجة تعاطف كبيرة مع إسرائيل، خاصة في ضوء استهداف المدنيين واحتجاز عدد كبير من الرهائن، لكن بمرور الوقت، ومع قيام إسرائيل بالتدمير الممنهج للبنية التحتية بالقطاع، والتوسع في استخدام العنف المفرط ضد المدنيين الفلسطينيين، وفرض نزوح داخل القطاع، بدأ الرأي العام الغربي يشهد قدراً ملحوظاً من التمايز الداخلي[١].

وقد رصدت العديد من استطلاعات الرأي التي أُجريت خلال السنوات الأخيرة تحولات مهمة في الرأي العام الغربي، بما في ذلك الرأي العام الأمريكي، تجاه القضية الفلسطينية، خاصة منذ أحداث الشيخ جراح في القدس عام ٢٠٢١، حيث تزايدت نسبة التعاطف مع القضية الفلسطينية، خاصة في أوساط الشباب والمهاجرين والقوى الليبرالية والتقدمية. ورصدت استطلاعات الرأي تلك بشكل واضح الفجوة المتزايدة بين مواقف الأجيال الأكبر والأجيال الأصغر تجاه القضية الفلسطينية. وعلى سبيل المثال، أظهر استطلاع للرأي أجري في مارس ٢٠٢٣ من قبل منظمة "جالوب" أنه للمرة الأولى يعبر المنتمون للحزب الديمقراطي عن نسبة تعاطف أكبر مع الفلسطينيين (٤٩%) مقارنة بالإسرائيليين (٣٨%).

لكن استطلاعات الرأي التي أُجريت منذ هجوم حماس أظهرت أن الأمريكيين في الغالب مؤيدون لإجراءات إسرائيل، حيث قال ٧٠%، وفقاً لاستطلاع أجرته CNN في ١٥ أكتوبر ٢٠٢٣، أن الاستجابات العسكرية الإسرائيلية كانت مبررة بالكامل أو جزئياً، ولكن مع الأخذ في الاعتبار أن ٨١% من الذين تجاوزوا سن الـ٦٥ رأوا الاستجابة مبررة بالكامل، مقارنة بـ ٢٧% فقط من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٣٤. كما وجد استطلاع للرأي قامت به The Economist/YouGov أُجري في ١٤-١٧ أكتوبر ٢٠٢٣ أن ٤٨% من الأشخاص قالوا إن تعاطفهم أكبر مع الإسرائيليين (٦٢% من الأشخاص الذين تجاوزوا سن الـ٦٥ مقارنة بـ٣٥% من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٩ عاماً).

---

[١] دينا شحاتة، كيف نظر الإعلام والرأي العام الغربي لحرب غزة ٢٠٢٣، المرجع السابق.

ولكن من المتوقع أن يكون هذا التزايد في التعاطف مع إسرائيل مؤقتاً في ضوء الانتهاكات والجرائم الإسرائيلية التي تلت هجوم حماس.

وقد أثرت عدة عوامل على توجهات الرأي العام الغربي خاصة في أوساط الأجيال الاصغر سناً تجاه القضية الفلسطينية، أهمها الدور المتزايد لمنصات التواصل الاجتماعي، حيث يقوم معظم الشباب بالحصول على معلوماتهم من خلال هذه المنصات، خاصة "تيك توك"، إذ تسمح لهم هذه المنصات بالوصول إلى المعلومات بشكل مباشر من خلال متابعة النشطاء الفلسطينيين على الأرض. وكان للنشطاء الفلسطينيين من الشباب، مثل محمد الكرد، دور مهم في تعريف الشباب الغربي بالقضية الفلسطينية وتكوين رأي عام مؤيد للموقف الفلسطيني.

من ناحية أخرى، كان لتزايد تأثير الحركات الاجتماعية الممثلة للمهاجرين والأقليات وللجماعات العرقية المهمشة، وتصاعد دور القوى التقدمية في المجال السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من الدول الغربية، دور مهم في تكوين رأي عام أكثر تعاطفاً مع الموقف الفلسطيني.

الخاتمة

مع كل هزيمة تحيق بالعرب، يعمد بعضهم إلى خفض سقف مطالبه، وإلى تبديل الهدف الاستراتيجي لنضاله بما هو أقل، أو إلى تفتيته في اطراد، في حين أنه يفترض التشبث بهذا الهدف الاستراتيجي، والاهتمام بدراسة أسباب الهزيمة، من أجل العمل على معالجتها وتجاوزها.

وتعتبر لقضية الفلسطينية هي إحدى القضايا الدولية المعقدة التي تمتد لعقود طويلة من الزمن، قضية تاريخية تتعلق بحقوق الفلسطينيين ووجودهم في دولتهم فلسطين المحتلة ومنطقة الشرق الأوسط، ترتبط هذه القضية بمجموعة من الأحداث والمستجدات التي شهدتها المنطقة على مر العقود وهي محور صراع دموي طاحن أثّر في حياة ملايين الناس، يتصل هذا النزاع بشكل أساسي بتأسيس الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين والاستيطان في هذه المنطقة والدور الذي لعبته الدول الكبرى في تلك الأحداث، وتتمحور قضية فلسطين حول قضية اللاجئين الفلسطينيين وشرعية دولة إسرائيل واحتلالها للأراضي الفلسطينية عبر عدة مراحل تاريخية مختلفة.

رغم التمايزات والتحولات المهمة في توجهات الرأي العام الغربي والأمريكي تجاه القضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة، فإن هذه التحولات لم تنعكس على توجهات القيادات السياسية ووسائل الإعلام التقليدية في هذه الدول. ومع تصاعد الصراع والعنف في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ومع استمرار إسرائيل في سياسات استهداف المدنيين والاستيطان ومحاولات فرض التهجير، يمكن أن تتزايد الفجوة بين مواقف القيادات السياسية والإعلامية الغربية من ناحية، وقطاع مهم من الرأي العام الغربي من ناحية أخرى، الأمر الذي قد يضع القضية الفلسطينية في صدارة الجدل السياسي داخل المجتمعات الغربية، ويفتح فرصاً للضغط على قادة ووسائل إعلام هذه الدول لاتخاذ مواقف أكثر توازناً تجاه القضية الفلسطينية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. إلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٧.

٢. إيلان بابيه، فكرة إسرائيل(تاريخ السلطة والمعرفة)، ترجمة محمد زيدان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٥.

٣. توماس سواريز، دولة الإرهاب(كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب)، ترجمة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دار المعرفة، الكويت، ٢٠١٨.

٤. رشيد الخالدي، حرب المئة عام على فلسطين، ترجمة عامر شيخوني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٢١.

٥. عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٣.

ثانياً: المراقع الإلكترونية:

١. هبة سلامة غمري، من بلفور إلى الطوفان.. تسلسل زمني لـ«الصراع الفلسطيني الإسرائيلي»، بحث منشور على الموقع الإلكتروني التالي للإطلاع : https://www.almasryalyoum.com/news/details/3000817 .

٢. سامح عودة، طوفان الأقصى ولعنة العقد الثامن.. هل أصبح الزوال مصيرا حتميا لإسرائيل، بحث منشور على الموقع الإلكتروني التالي للإطلاع: https://www.aljazeera.net/midan/intellect .

٣. دينا شحاتة، كيف نظر الإعلام والرأي العام الغربي لحرب غزة ٢٠٢٣، منشور على الموقع الإلكتروني التالي للإطلاع:

https://acpss.ahram.org.eg/News/21033.aspx